" المدى " في مهرجان "كان" السينمائي الدولي:

حجب مدير المهرجان عنه المسابقة الرسمية:

فرانسيس فورد كوبولا يفتتح "نصف شهر المخرجين"

عرفان رشيد
كان- فرنسا

لم يكن نهار السادس والعشرين من شهر آبريل الماضي يوماً سعيداً للغاية لمدير مهرجان كان السينمائي الدولي تييري فريمو. فبعد أن كان قد أعلن قبل يومين عن برنامج الدورة ٦٢ لمهرجانه، وكان حافلاً بالأسماء الكبيرة حقاً، جاءته مفاجأة غير مُنتظرة. فبرغم أن برنامجه الذي لم يكن يتضمّن شريط فرانسيس فورد كوبولا "تيترو"، لا داخل المسابقة الرسمية ولا خارجها، فقد اكتشف فريمو بأن جمهور "كان" سيشاهد الفيلم بعد أن اختاره برنامج "نصف شهر المخرجين" في العرض الافتتاحي لمنهاجه الذي ينطلق في نفس يوم الافتتاح الرسمي للمهرجان (اليوم الأربعاء ١٤ مايو).

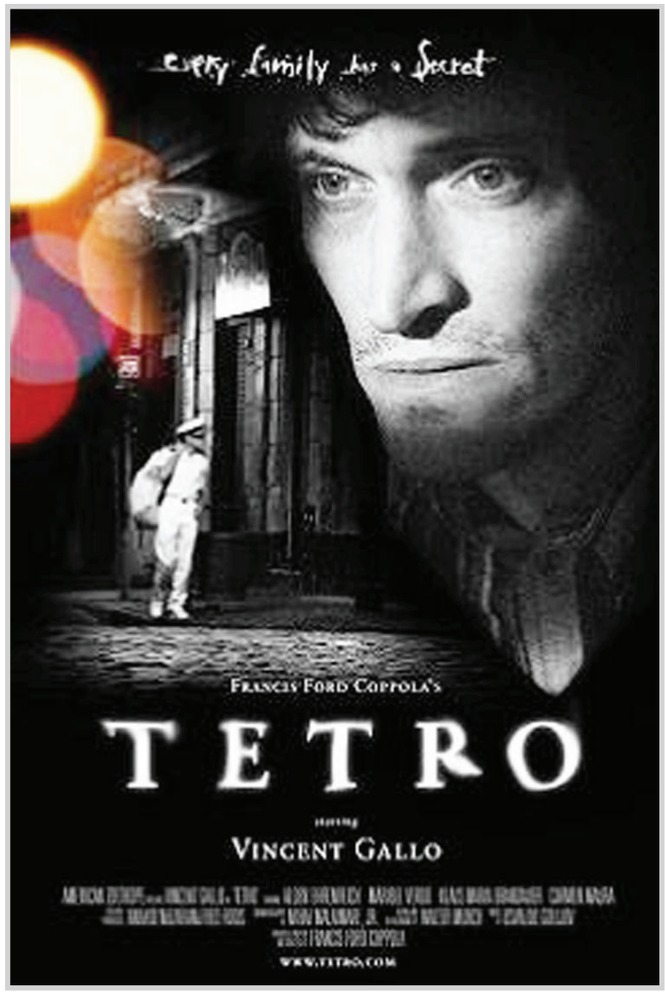

في حقيقة الأمر لم يرفض تييري فريمو الفيلم بل اكتفى بدعوته للعرض خارج المسابقة الرسمية ما دفع كوبولا إلى رفض المشاركة في "كان" وأعطى فيلمه إلى برنامج "نصف شهو المخرجين". كوبولا لم يُحب صفق باب المسابقة بوجهه سيما وأن هذا الشريط يمثّل مرحلة هامة من إنجازه السينمائي (المستقل) والمُموّل ذاتياً و يأتي بُعَيْد شريطه المثير للجدل " شبيبة دون شباب- ٢٠٠٧" والذي أنجزه بعد توقف دام أكثر من تسع سنوات من شريطه الأسبق "صانع المطر".

خطوة كوبولا و برنامج "نصف شهر المخرجين" أزاحت بقوة غبار السنين الذي تراكم على الخلاف والصراع القديم بين مؤسسة المهرجان بزعامة قيصره العتيد جيل جاكوب (٣٢ عاماً من الإدارة والرئاسة) واتحاد المخرجين الفرنسيين وأعاد إلى الواجهة التباين الكبير بين منطلقيهما في تقديم السينما إلى الجمهور وإلى النقد. وقد نشأ هذا التباين قبل ٤١ عاماً عندما أعلن اتحاد المخرجين الفرنسيين، عن احتجاجه على المهرجان بطريقته الخاصة في ربيع عام ١٩٦٨ وتضامن مع الطلبة والشبيبة المنتفضين في باريس واستنبط مهرجاناً إحتجاجياً موازياً لـ"كان" أطلق عليه اسم "نصف شهر المخرجين" والذي صار عبر السنين مختبراً رائعاً لطاقات سينمائية ترّسخت في المشهد السينمائي العالمي ومنحت الكثير.

لقد سعى "نصف شهر المخرجين" دائماً على أن يكون الوجه الآخر (الإبداعي) لعالم السينما بالإعتماد على إنجاز المبدعين أولاً وبالتعالي على البهرجة الاحتفالية التي تميّز مهرجان "كان"، لذا لا يخلو اختيار شريط كوبولا، رغم طبيعيّته المطلقة، من عنصر المناكفة تجاه المهرجان "الرسمي" وإدارته الفنية. وتعيد خطوة كوبولا إلى الأذهان ما وقع في العام الماضي مع مخرج كبير مثل كلينت إيستوود الذي حجبت لجنة التحكيم الدولية عن فيلمه المتميّز "Changeling" جوائزها الرسمية واخترعت له، درءاً للإحراج، سعفة ذهبية لمجمل إنجازه الإبداعي، ما دفع إيستوود إلى تجاهلها ولم يحضر لاستلامها.

يذكر أن كوبولا شارك في مسابقة مهرجان "كان" لثلاث مرات وذلك بأفلامه "You are a big boy now"-١٩٦٦ و "The Conversation"-١٩٧٤ و "يوم القيامة الآن - ١٩٧٩" وفاز بالسعفة الذهبية عن المشاركة الثانية وتناصف فيلم "يوم القيامة الآن" السعفة الذهبية مع "طبل الصفيح" المقتبس من رواية الألماني الفائز بنوبل للآداب غونتر غراس.

فيلم "تيترو" المقتبس من قصة لها مفردات السيرة الذاتية، صُوّر بالأسود والأبيض خارج الولايات المتحدة واعتمد المخرج على مجموعة من الممثلين البعيدين عن عالم النجوم الهوليووديين. ويبدو الشريط تأكيداً لنوايا هذا المبدع السبعيني ورغبته في شباب جديد يتميّز بالمواجهة مع قضايا عصره من خلال أعمال تعيد التفكير فيما يجري في الكون. تدور أحداث الفيلم حول عائلة مهاجرين إيطاليين: رب العائلة (ويؤديه الألماني كلاوس ماريا براندوير) مؤلف موسيقي مشهور يمضي جُلّ وقته منغمساً في عمله الإبداعي وتشكّل شهرته وصورته ثقلاً كبيراً على أحد ولديه (تيترو) الذي يقرر الهجرة إلى الأرجنتين هرباً من الظل الثقيل لهذا الأب ويدخل ضمن جماعة بوهيمية تمارس المسرح والرقص في بوينس يريس.

الفيلم، في مجمله، عبارة عن الرحلة التي يقوم بها الشقيق الأصغر لتيترو (ويؤديه فينسينت غالّو) إلى الأرجنتين بحثاً عنه. مفردات السيرة الذاتية واضحة عبر كون والد فرانسيس فورد كوبولا (كارمن كوبولا) مؤلفاً موسيقياً وقائد أوركيسترا إن لديه أخاً يعمل أكاديمياً.

إلى جانب كوبولا وشريطه "تيترو" سيعرض برنامج "نصف شهر المخرجين" ٢٣ شريطاً من كل من الولايات المتحدة وفرنسا وكندا والمكسيك وبلغاريا وسنغافورة وكوريا الجنوبية وماليزيا والتشيلي. ومن بين الأفلام الأمريكية المعروضة ضمن البرنامج شريط بعنوان "أحبّك يا فيليب موريس" والذي يواجه مصاعب توزيعية كثيرة وشريط "أمريكا" للمخرجة الفلسطينية الأصل شيرين دعيبس وبطولة هيام عبّاس وهو من إنتاج الكويتية زين الصباح.

غياب أمريكي واضح

ومثلما سجّلت دورة الربيع من سوق التلفزيون العالمي "MIP TV" في أبريل الماضي غياباً ملحوظاً لشركات الإنتاج التلفزيوني الأمريكية الكبرى مثل وورنر برادرز، فستسجّل الدورة الثانية والستون من مهرجان "كان" السينمائي الدولي أدنى حضور للسينما الإمريكية في تاريخ المهرجان، والأدنى الأوضح منذ تولّي تييري فريمو ادارته الفنية منذ بضع سنوات. ولم يُصفق فريمو باب المسابقة الرسمية في وجه فرانسيس فورد كوبولا فحسب، بل حصر المشاركة الهوليوودية في البرنامج الرسمي على عنوانين فحسب هما "Inglorious Bastards" لكينتين تارانتينو و "Taking Woodstock" لآنغ لي.

ولم يخفّف من وطأة هذا التغييب اختيار فريمو شريط التحريك " UP" من إنتاج بيكسار لعرض الافتتاح، بل، ربما، زاد من التساؤلات لأن فريمو غيّر من اتجاهاته حتى في مجال التحريك، فاختياره عملاً من بيكسار بدلاً من مُفَضّلته "Dreamworks". سيكون مثار نقاش كبير إذا لم يحقق فيلم "UP" النجاح في حلبة النقّاد.

أمريكا ليست الحاضرة - الغائبة الوحيدة في هذه الدورة. نفس الحال تواجهها السينما الإيطالية التي ستكون ممثلة في "كان" بعنوان واحد فحسب هو "Vincere"- الانتصار" لماركو بيلوكيو الذي يعتبره مهرجان "كان" واحداً من أبنائه وقدّم في هذا المهرجان معظم أفلامه القديمة وكان عضواً في لجنة التحكيم قبل دورتين. وربما لم يكن غياب السينما الإيطالية بسبب "موقف ما" من إدارة المهرجان بل كان بسبب عدم اكتمال شريطين للمخرجين ميكيلي بلاتشيدو والأوسكاري جوزيبّي تورناتوري.

وكما فعل ماركو بيلوكيو في أفلامه الأخيرة، فهو يفتح ملفات سياسية وتاريخية كبيرة عبر قراءة لجزئية صغيرة للغاية من حياة شخصية واحدة. إنه كمن يحاول التوكيد المتكرر أن الفيلم، أي فيلم، ليس إلاّ حكاية شخص واحد. فعل ذلك فيلم "صباح الخير أيها الليل" الذي تناول به أزمة الإرهاب "الأحمر" للألوية الحمراء الإيطالية التي أدمت إيطاليا منذ نهايات سبعينيات القرن الماضي، عبر تناوله وتركيزه على الجزئيات اليومية الدقيقة لمعاناة إرهابية ضمن المجموعة التي خطفت زعيم الحزب الديموقراطي المسيحي الإيطالي آلدو مورو في مارس ١٩٧٨ واغتالته بعد ٥٥ يوما. تلك العملية أرست النهايات الأولى لحقبة الدم المسال بيد "الإرهاب الإيطالي الأحمر".

في مقابل الغياب الأمريكي وابتسار حضور هوليوود وسينماها وغياب السينما الإيطالية منحت إدارة المهرجان السينما الوطنية (أعني الإنتاج الفرنسي) المساحة الأوسع في البرنامج الرسمي، كما منحت رئاسة لجنة التحكيم الدولية إلى النجمة الفرنسية إيزابيل هوبير.

من الضفة الاخرى

من أدب المنفى

لم تصبح الغربة لنا وطناً، بل الوطن صار لنا غريباً

الفريد بولغار

ستيلا روتنبيرغ

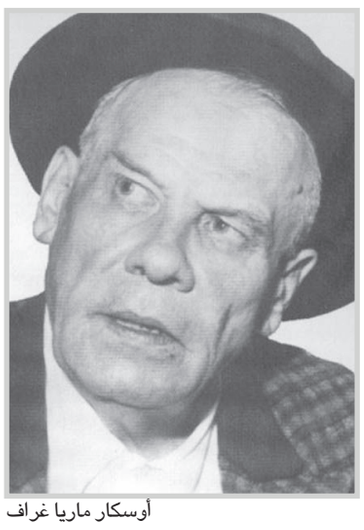
أوسكار ماريا غراف

هيلدا دومين

ستيلا روتنبيرغ
Stella Rotenberg
١٩١٦

ولدت في مدينة فيننا عام ١٩١٦. في عام ١٩٣٨، وبعد ضم النمسا إلى ألمانيا، التي كانت النازية إدارة لدفة الحكم فيها، منعت من الاستمرار في دراستها (دراسة الطب) لأسباب: أنها كانت تعتنق الدين اليهودي وإنها تنتمي إلى الحزب الاشتراكي النمساوي. وحينما تأكد لها بأن حياتها في خطر، تمكنت، في عام ١٩٣٩، وبحجة البحث عن عمل، الهروب عبر الأراضي الهولندية والوصول إلى بريطانيا وهناك منح لها حق اللجوء السياسي. بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وصل لها خبر قتل جميع أفراد عائلتها في معسكرات الاعتقال (المحرقة).
بدأت الكتابة عام ١٩٤٠ وكانت أولى قصائدها (دون وطن) المذكورة أدناه.

دون وطن

نحن نجلس على مجموعة كراسي ليست لنا.
نحن نأكل من صحون ليست لنا.
نحن نتحدث لغة غير لغتنا.
نحن لا نملك سوى شوارع مغبرة وقناطر ضيقة للعبور.
ولا لدينا سوى الرحيل من مكان إلى آخر،
مثل كائنات حية تتحرك لا جذور لها.
نحن لا وطن لنا.

سيرة حياة

ولدت
في زمن الحرب
في فيننا،
ماتت
في زمن الحرب
في طريقها إلى مينسك،
قتلت ضربا من قبل رجل أل S.S
من فيننا،
لأنها كانت عاجزة عن السير.
لم تترك اسما من ورائها ،
ولا أثرا لجسدها
ولكن سوى
صرخة قصيرة.

صيف

I
عندما افترش ذراعك:
نصبح نحن العالم.
ابتسامتنا أشعة ضوء
لهثاتنا مثل هبوط وارتفاع أمواج البحر.
ورقصة الأفلاك السماوية
هي رقصتنا.

شفتاك مثل زهرة متفتحة
لي رغبة لامتلاكها.
II
الحنين ينقلني من مكان إلى مكان.
أشجار صديقة،
القمر في الطليعة ينير الطريق،
والريح علامة ترشدني إليك.

الإنسان

الإنسان يكره:
خصمه
منافسه
من يذله
من يقهره
محاكم التفتيش
جلاده
لكن أشد ما يكره الإنسان هو:
ضحيته.

هيلدا دومين
Hilde Domin
١٩٠٩ـ٢٠٠٦

شاعرة ألمانية ولدت في مدينة كولن (Köln) في اليوم السابع والعشرين من شهر تموز عام ١٩٠٩. درست القانون ثم نظرية علم الاقتصاد، علم الاجتماع والفلسفة (كارل ياسبر وكارل مانهايم) في هايدلبيرغ، برلين بعدها توجهت عام ١٩٣٢، ولأسباب سياسية لانتمائها إلى الحزب الاشتراكي الألماني، إلى إيطاليا (فلورنسا وروما) وأنهت دراستها عام ١٩٣٥ في مدينة فلورنسا بأطروحة حول (Pontanus als Vorlöfer von Machiavelli). وعلى أثر صدور قانون " التمييز العنصري/ الطائفي في ايطاليا لم تتمكن هيلدا دومين من البقاء في هذا البلد لكونها كانت تعتنق الديانة اليهودية وعضويتها في الحزب الاشتراكي الألماني، فتوجهت إلى انكلترا، التي لم تمكث فيها غير سنة واحدة (١٩٣٩/١٩٤٠) بعدها سافرت إلي جمهورية الدومنيكان ومكثت فيها حتى عودتها إلى ألمانيا في عام ١٩٥٤، حيث مارست هناك مهنة تدريس اللغة الألمانية في جامعة سانتو دومينكو.
بدأت هيلدا دومين كتابة الشعر في عام ١٩٥١ بعد وفات والدتها، وكان أول ديوان شعري صدر لها عام ١٩٥٥ بعنوان " الخريف السرمدي " بعدها صدرت لها الكثير من المجاميع الشعرية (١٤ ديواناً) منها " أين هي شجرة اللوز " (١٩٥٧)، عودة السفينة (١٩٦٢)، " هنا " (١٩٦٤)، أريدك (١٩٧٠) و " بيت دون نافذة " . إلى جانب كتابة الشعر فقد كتبت أيضا القصة " الجنة الثانية " ومقالات حول الأدب كان أهمها " لماذا الشعر اليوم ...؟ ".

جهزت لي غرفة في الهواء
تحت حركة البهلوان والطيور:
فراشي على أرجوحة تهتز
مثلما تهز الرياح عشا عند نهاية غصن.
اشتريت لي غطاء من صوف خراف ناعم
تمشي على أرض
مثل غيمة متألقة
عندما تمر من تحت ضوء القمر.
أغمض عيني وأدثر نفسي
في فرو هذا الحيوان الوديع.
رغبتي إحساس بذرات الرمل تحت حوافر صغيرة
وأن أسمع صوت المزلاج،
الذي يغلق باب الحظيرة.
إلا أني كنت مستلقيا على ريش طائر في فراغ يهزني.
يصيبني الدوار. يبعد النوم عن عيني
يداي
تبحث عن مكان أريد أن استند اليه نفسي
إلا أني لم أجد إلا زهرة (Rose) أمسكت بها.

في الظلام

بعثت يدي إلى الظلام
والأصابع تبحث عن ضوء
ترتجف خوفا من المجهول.
وعندما جمعت أصابعي
إلى الداخل على راحة يدي
أحست بأمان مثل ما تحس
صغار الكلاب حينما تكون عند حلمة ضرع الأم.

أوسكار ماريا غراف
Oskar Maria Graf
١٨٩٤ـ١٩٦٧

شاعر ألماني ولد في (Berg am Starnberger See) التابعة لمقاطعة باير في اليوم الثاني والعشرين من شهر تموز عام ١٨٩٤. مات في مدينة نيويورك (الولايات المتحدة الأمريكية) في الثامن عشر من شهر أكتوبر عام ١٩٦٧. تعلم مهنة " الخبازين " عن أبيه. ثقف نفسه بنفسه من خلال المطالعة والقراءة. هرب في عام ١٩١١ من البيت على أثر المعاملة السيئة من قبل العائلة متنقلا بين مدينة ميونخ، برلين وايطاليا حيث عاش حياة بوهيمية ومارس الكثير من الأعمال المختلفة من اجل " لقمة العيش ". اقتيد عام ١٩١٥ إلى الخدمة العسكرية والمشاركة في الحرب العالمية الأولى، عصى، في واحدة من المرات، تنفيذ الأوامر العسكرية، التي حوكم على أثرها وصدر بحقه قرار، بإدخاله دارا للمجانين، ولم يخرج منه إلا عام ١٩١٧ حيث شارك (في نفس السنة هذه) في ثورة أيلول والمجالس الجمهورية في باير واعتقل أكثر من مرة بعدها عين كاتبا للدراما في مسرح العمال في ميونخ. هرب عام ١٩٣٣ عبر فيننا، إلى موسكو منها إلى تشيكوسلوفاكيا ثم إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

رسالة من أب في المنفى إلى ابنته

طفلتي، أنت تكتبين لي من الوطن،
أن الربيع يعود ثانية.
في الصباح عندما يضع المرء أقدامه فوق الحشائش المبللة،
هكذا تكتبين، تبدو الأرض وكأنها تزداد اخضرارا.
وعندما أقرأ رسالتك هذه،
أرى المزارع، الغابات والحقول،
صورة جميلة
مثلما هي عندما كنت أسير فيها
أحس بالسعادة
حين تخطر على الذاكرة.

تكتبين عن الحرب

مهزلة!
ردا على تلك الأخبار الكثيرة، يرددها الناس عنها.
نعم..! تقصدين أن أكثر كبار السن قد ماتوا
والشباب، عدد لا يحصى، صاروا عساكر
لأن الحرب، قريبا، ستندلع.
طفلتي، عند القراءة ينقطع نفسي!
هل هذا كل ما تعرفين...؟
لا حديث عن السلام أبدا...؟
الغابات والحقول وثمارها،
أراها أمامي، تبدو، وكأنها أرض مقفرة...!
لا بشر عليها...